سور الصين العظيم

لجناب رفعتلو اسعد افندي داغر

ليس بخافٍ على قرّاء المنتطف الكرام ان للصين الاصلية سورًا عظيمًا مشهورًا يحيط بها من الشمال ويفصل بينها وبين منشوريا ومنغوليا من بلاد التتر الصينية ويمتد من البحر في عرض اربعين درجة واربع دقائق شمالاً وطول مئة وعشرين درجة ودقيقتين شرقًا على طول الف ومئتين وخمسين ميلاً. وهو مبنيٌّ بالحجارة والاجرّ وارتفاعهُ بين خمس عشرة وعشرين قدمًا وعرضهُ عند اسفلهِ خمس وعشرون قدمًا وعند اعلاهُ نحو خمس عشرة قدمًا. على انهُ قد اصبح الآن بداعي كرور الايام وعاديات الزمان بعضهُ متداعيًا مهدومًا وبعضهُ مندكًّا ركامًا مركومًا. وبعضهُ اناخ عليهِ الدهر بكلكلهِ فنوّضهُ الى الاساس. وطمس في وجهِ المشتغلين بعلم الآثار القديمة طريق الوصول الى تاريخ بنائهِ فرجعوا يضربون لتحقيقهِ اخماسًا لاسداس. وسابسط للقارىء ملخص تقاريرهم المتباينة وزبدة ارائهم المتخالفة في هذا الشأن ولهُ بعدذلك الحكم في ايّها اقرب الى الصواب واجدر بالقبول عند ذوي الالباب

وقبل الخوض في ذلك يحسن بنا القول ان الآراء المتضاربة المتناقضة لا تنحصر في تعيين تاريخ بنائهِ بل يتعدّى فيها الاختلاف الى ما هو اهمّ من ذلك شأنًا واجلّ اعتبارًا وهو امر وجود هذا السور وعدمهِ فقد ذهبت طائفة منهم الى ان هذا السور العظيم المحكيّ عنهُ لا وجود لهُ وانهُ هو الاّ حديث خرافةٍ وحكاية موهومة صوّرها الوهم واختلقها الخيال. ونُشرَ هذا المذهب حديثًا في كثير من الصحف فقد كتب بالامس كارتر هاربسون والي شيكاغو السابق عن سياحتهِ في الصين وفي عرض الكلام اشار الى ارتيابهِ في وجود سورها العظيم الشهير. والّف الاب لاربن مقالة ضافية الذيل مشبعة بالبراهين على عدم وجود السور المذكور وعلى اثرها جاء في جريدة التيمس المطبوعة في لندن بتاريخ ٥ اوغسطس (آب) ١٨٨٧ جملة تحت عنوان « هل سور الصين العظيم خرافة » وما ادرج فيها استنادًا على راي الاب لاربن ان السور «لا يوجد ولم يكن لهُ قط أدنى وجود. نعم يوجد حيث السور الموهوم حصون مربعة الشكل مبنيّة من تراب ومغشّاة بالاجرّ وهي منفصلة ومتفرقة في أبعادٍ ليست بقليلةٍ ولكنها لم تكن قط موصولةً بعضها ببعض كما كان يزعم الاكثرون. على انهُ مهما يكن من حديث هذا السور المزعوم فلهُ عند الاوربيين شأن عظيم من وجه انهُ انشا بفيهم ارتياحًا زائدًا لاقتعاد غارب السفر

الى باكين. ومن ثمَّ يكون امر وجودهِ وعدمهُ سوَّلاً لا يصعب حلهُ »

على انهُ يبقى لدى الذاهبين بوجودهِ ادلة عديدة مبنيَّة على تقارير كثيرة مأخوذة عن كثيرين من الذين ذهبوا الى الصين ورأوا السور رأي العين. وهذه التقارير وان اختلفت في بعض الامور فليس فيها شيء من التناقض الجوهري العابث بصحتها. وحجة هولاء على النافين بعدم وجودهِ هي « ان كانت البينات على وجودهِ مشكوكاً فيها فلا دليل راهن على عدم وجودهِ »

اما الاختلافات في تعيين زمان بنائهِ فكثيرة بين علماء التاريخ حتَّى انك لا تجد في الحوادث التاريخية موضوعاً تضاربت فيهِ الآراء مثل هذا وذلك بناء على ما تحقق عند العلماء من ان للصين اسوارًا عديدة متباينة في الطول بُنيت في ازمان مختلفة وان السور الحالي اطول من ان يكون بناؤهُ قد تمَّ في زمانٍ قصيرٍ والارجح ان بناءهُ استغرق ازمانًا متعددة

وما يأتي مختصر اراء الاوربيين في هذا الصدد. انهُ كان للصين اسوار عديدة وقد بنيت لتصدَّ هجمات الغازين فبني واحدٌ منها سنة ٢٠٠ قبل المسيح وآخر اكبر منهُ سنة ٢١٤ ق.م ولكن لا دليل على ان سورها الحالي هو احد تلك الاسوار القديمة وفي نحو سنة ١٣٦٨ من التاريخ المسيحي رأى امبراطورها الذي كان من الدولة المنغلية ان يقيم لها سورًا من نحو الشمال ليردَّ حملات قبائل منغوليات ويكبح جماح تعديهم وذلك كان تاريخ نشأة سورها الحالي الذي يمتد عهد بناء قسم منهُ الى ما بين القرن الخامس عشر والسادس عشر.» ومما يضاف الى هذا الملخص ان مهندسًا اميركيًا تفقد هذا السور في سياحتهِ الى الصين منذ بضع سنين فحسب من باب التقريب ان نفقة بناء الف وميتي ميل (طول السور المذكور) على معدل اجرة العمل في وقتنا الحاضر تزيد على نفقة مد سكة حديد في اميركا طولها مئة الف ميل وان ما اقتضاهُ بناء هذا السور من المواد يكفي لبناء سور يحيط بالكرة الارضية على علو ست اقدام وعرض قدمين. وهاك ما جاء في بعض المعجمات العامة (الانسيكلوبيديات) عن هذا السور. جاء في المعجم البريطاني العام «ان سور الصين العظيم بناهُ اول امبراطور مطلق فيها يُدعى شيهوانغتا وقد باشر بنفسهِ النظارة على بنائهِ سنة ٢١٤ ق م لكنهُ مات قبل اتمامهِ.» وورد في معجم بيل انهُ « بني في ايام اول امبراطور من ملوك دولة تسن نحو سنة ٢٢٠ قدم» وذكر نفس هذا القول في معجم تشامبرس وورد في معجم زل المطبوع سنة ١٨٨٠ انهُ «بني منذ

الفي سنة » وكتب في معجم جونسون انهُ « بني في عهد الامبراطور شيهو نفتي وقد عمل فيهِ ملايين من النعلة الذين مات منهم نحو نصف مليون في العشر السنين الأوّل من مدة بنائهِ وأكمل سنة ٢١١ ق م

اما الامبراطور شيهانفتي او سينتوانغ الذي سبق ذكرهُ وجاء في ردّ احد الكتبة على مقالة الاب لارين ما يأتي « ذهب الى الصين سنة ١٨٨٠ وصعدت على سورها العظيم فهو وان كنت لم اقسهُ ولا سرت عليهِ (مع انهُ كان مستطاعًا بسهولة) ممتدّ من طرفي النقطة التي وقفت فيها بخط مستقيم غير منقطع الاّ في الاماكن التي عبث بها الخراب والدمار الى آخر ما يمكن انهُ يصل اليهِ النظر وبينما كنت مجتازًا خليج لياوتونغ رأيت بكل وضوح من على ظهر المركب تلك النقطة التي يمتدّ منها ذلك السور العظيم من ناحية البحر. اما الحصون المربعة التي اشار اليها (لابرين) المعترض فقد شاهدتها في الصين ولكنها ليست في شيء من السور بل بعيدة منهُ ومنفصلة عنهُ »

نقول ومهما يكن من الامر فعلماء الجغرافيا لا يقرُّ قرارهم حتّى يتحقق امر هذا السور لاننا في عصر النقد والتمحيص

الألَم في الحيوان الاعجم

هل يتألّم الحيوان كما يتألّمُ الانسان مسألة يسألها الصغار ويرتاب في حلها الكبار. فاننا كل يوم وكل ساعة ندوس الحشرات من النمل والدود وما اشبه فتتكسّر عظامها وتتقطع اوصالها وتتمزّق ابدانها ونحن غافلون وعن آلامها لاهون. ونتصب الشراك للطيور ونرميها بالبنادق فيكسر الخردق اجنحتها ويمزق ابدانها ونحن نتهلل بذلك كانهُ من اطيب المسرات. ونلقي الشباك للاسماك ونرفعها من الماء الى الهواء لتموت اختناقًا وان لم تمت سريعًا جلدنا بها الصخر او القيناها في النار او طرحناها في الزيت الغالي ونحن لا ننظر الاّ الى لذة الصيد وأكل السمك الطري. فهل نقول كما نقول طائفة من حامية الحيوان قولنا الانسان ما اشرسهُ. ولكنّ طوائف الحيوان كلها تجري هذا المجرى فالباشق يخطف العصفور ويمزق بدنهُ تمزيقًا قبلما تزهق روحهُ. والعصفور يلتقط في نهارهِ مئات من الذباب والديدان ويمزق ابدانها ليغتذي بها. والاسد يفترس الثور وينهش لحمهُ رويدًا رويدًا الى ان تفارقهُ الحياة. والثور يأكل العشب ولا يعنو عمّا عليهِ من الديدان والحشرات. والسمك تأكل كبارهُ